دور المدارس الأثرية
في التعليم في العصر العباسي

الدكتور طاهر مظفر العميد
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

شجع الاسلام التعليم ، وحث المؤمنين به الى الاستزادة منه ، ولقد كان من اهتمام الاسلام بالتعليم والقراءة أن أول كلمة نزلت على سيدنا الرسول (عليه الصلاة والسلام) هي كلمة « إقرأ » التي وردت في مطلع سورة العلق[1] .

ولقد كانت المساجد التي أُقيمت في صدر الاسلام بمثابة المعاهد التي تؤدي خدمة التعليم الى جانب وظيفتها الدينية ، اذ لم يكن للمسلمين في عصر النبي (عليه الصلاة والسلام) أماكن مخصصة للتعليم والدراسة ، وانما كان مسجد الرسول (عليه الصلاة والسلام) في المدينة ملتقى الصحابة ، حيث يؤدون فيه الصلوات ، ويستمعون الى تعاليم الرسول وتوجيهاته ، كما كانوا يتلقون فيه مادىء القراء والكتابة .

---

(١) القرآن الكريم ، سورة العلق ، وهي مكية تتضمن تسع عشر آية ومن الآيات التي وردت عن القراءة والعلم « إقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم . » وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تحث المسلمين على التعليم والاستزادة منه ، مثل قوله تعالى « قل ربي زدني علما » سورة طه الآية ١١٤ ، وقوله تعالى « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » سورة الزمر الآية ٩ .

(٢) جاء في كتاب فاتحة العلوم صفحة ١٩ للغزالي عن مكحول انه قال : « حدثني عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا كنا ندرس في مسجد قباء اذ خرج علينا رسول الله صلوات الله عليه فقال : تعلموا ما شئتم أن تعلموا فليس يأجركم الله حتى تعلموا » .

واستمر المسلمون في عهد الخلفاء الراشدين ، يتعلمون اصول العقيدة ، واصول القراءة والكتابة ، في مسجد النبي بالمدينة المنورة ، كما كانت مساجد البصرة والكوفة في العراق ، ومسجد عمرو بن العاص في مصر تؤدي نفس الغـــرض .

وعندما انتشر الاسلام ، في أقاليم واسعة من العالم آنذاك وتوسعت مطالب المسلمين تبعاً للحاجات التي استجدت في تلك البقاع ، وكثرت المدن التي بناها المسلمون ، وتعددت مرافقها ، وأصبح الميل الى تخصيص أماكن تخدم أغراض تلك المدن ، وتوفر الهدوء والراحة الى ساكنيها ، وقد لاحظ المسلمون آنذاك أن وجود مجموعات من الناس في المساجد للدراسة والقراءة لا توفر الهـدوء المطلوب للمؤمنين أثناء الصلاة ، فنشأت فكرة فصل المـدارس عن المساجد ، ونمت الرغبـة الى تكريس مرافق تخصص للتدريس تـكون مســتقلة عن المساجد .

لقد شيدت العديد من المدارس في العالم العربي الاسلامي ، وكان نصيب العراق من هذه المدارس الجزء الاكبر ، اذ اقيمت في مدينة بغـــداد مدارس عديدة خلال العصر العباسي ، وسوف نقتصر في بحثنا هنا عن مدرسة واحدة ، من تلك المدارس التي أثرت في مسار القطر العلمي والثقافي ، وأسهمت لفترة طويلة في ارساء اصول الفقه والحديث واللغـة والطب والصيدلة ، تلك هي « المدرسة المستنصرية » .

بناها الخليفة المستنصر بالله العباسي ببغداد في جانب الرصافة ، على نهر دجلة مما يلي دار الخلافة في سنة ٦٢٥ هجرية[٣] (١٢٢٧ ميلادية) ، وقـد تولى الاشراف على بنائهـا اســتاذ الـدار مؤيدالدين أبو طالب محمـــد بن العلقمي[٤] .

---

(٣) الحوادث الجامعة ، صفحة ٥٣ .
(٤) المصدر السابق .

وقد انتهت عمارتها ، وأصبحت متكاملة في شهر جمادى الآخرة لعام ٦٣١ هجرية (١٢٣٤ ميلادية) . وكان بناؤها غاية في الروعة حتى حدا ببعض المؤرخين بأن يشيروا انه لم يبنَ على وجه الارض أحسن منها[٥] . ويشير صاحب الحوادث الجامعة أن افتتاحها تم في اليوم الخامس من شهر رجب من نفس السنة[٦] ، وقد احتفل بالانتهاء من عمارتها وافتتاحها باحتفال عظيم[٧] .

أهمية المدرسة المستنصرية :

للمدرسة المستنصرية أهمية خاصة من الناحية الخططية ، لأنها من المباني التي لا يزال معظمها قائماً حتى الآن ، ويمكن الاستدلال بها في تعيين المواضع المجاورة التي لم يبق لها أثر ما ، ومثال ذلك أن ابن بطوطة وصف هذه

---

(٥) القرماني ، أخبار الدول ، صفحة ١٨٠ ، العيني ، عقد الجمان ، ج٢ صفحة ١٦٢ مخطوط ؛ حسين أمين ، المدرسة المستنصرية ، صفحة ٣٠ .

(٦) الحوادث الجامعة ، صفحة ٥٣ .

(٧) الحوادث الجامعة ، صفحة ٥٣ ، وانظر : المناقب العباسية والمفاخر المستنصرية ، الورقة ١٤٥ ، من مخطوطة باريس ، ابن كثير ، ج ١٣ صفحة ١٤٠ ، ناجي معروف ، تأريخ علماء المستنصرية ، صفحة ١ . وقد ذبح في ذلك اليوم حسب ما يرويه ابن أبي الفرج البصري ألفا رأس من الغنم ، وعملت الحلاوة صفوفاً ، وعمل بها سماط عظيم أكل منه الحاضرون ، وحمل منه الى سائر دروب بغداد من بيوت الخواص والعوام . ويقول الأربلي في خلاصة الذهب المسبوك صفحة ٢١٢ « وكسيت بأفخر الملابس وتحلت كأحسن العرائس » وقد وصف صاحب كتاب الحوادث الجامعة صفحة ٥٥ الاحتفال بقوله : « وحضر الخليفة المستنصر واستقبل بعظيم الحفاوة والاجلال ، ووقف نائب الوزارة نصرالدين بن الناقد وبيده السجلات الخاصة بالمدرسة المستنصرية واعلن بدء افتتاح المدرسة برعاية الخليفة العظيم المستنصر بالله وتلا على الحاضرين نظام المدرسة مبيناً أقسامها ومرتباتها ومخصصاتها وتفاصيل ادارتها ووقوفها وموظفيها وعدد طلابها ومناهج التدريس فيها » .

المدرسة بقوله انها تقع في آخر سوق الثلاثاء ، ومن ذلك يستدل على أن سوق الثلاثاء كانت تحت المدرسة مباشرة[٨] .

أما الدافع الذي حفز الخليفة المستنصر الى بناء هذه المدرسة فهو الدافع الديني ، وخدمة الاسلام واللغة العربية ، ولعل الخليفة المستنصر ، أول من ابتكر فكرة جمع المذاهب الفقهية الاربعة في بناية واحدة ، كما أشارت الى ذلك جميع المراجع العربية الموثوقة ، وأيدتها الكتابة الآجرية التي ثبتها المستنصر على باب المدرسة الرئيس ، وقد جاء فيها :

« وأمر أن تجعل مدرسة للفقهاء على المذاهب الاربعة[٩] .

وتعد المرسة المستنصرية ، بمثابة أول جامعة في العالم الاسلامي عنت بدراسة علوم القرآن ، والسنة النبوية ، والمذاهب الفقهية ، وعلوم العربية ، والرياضيات ، وقسمة الفرائض والتركات ، ومنافع الحيوان ، وعلوم الطب ، وحفظ قوام الصحة ، وتقويم الأبدان[١٠] .

ولعل أهم ما تمتاز به المدرسة المستنصرية عن المدارس التي سبقتها

---

(٨) مصطفى جواد وأحمد سوسة ، دليل خارطة بغداد قديماً وحديثاً ، صفحة ١٧٨ .

(٩) انظر المراجع والمصادر التالية : الصديقي ، عيون الاخبار ونزهة الابصار ج١ الورقة ٢٣٩ ، الصفدي ، الوافي بالوفيات ج ٢٤ الورقة ١٢ ؛ الحوادث الجامعة صفحة ٣ وما بعدها ، ابن الفوطي ، الالقاب ج٥ صفحة ٥٢٨ ؛ قطب الدين الحنفي ، الاعلام بأعلام بيت الله الحرام صفحة ٨١ ؛ ناجي معروف ، تاريخ علماء المستنصرية صفحات ١-٢ .

(١٠) ابن الساعي ، خلاصة الذهب ، صفحة ٢١٢ ، الدرر الكامنة ج١ صفحة ٢٥٠ ، بغية الوعاة ، الورقة ٢٠١ و ٢١٣ ، ناجي معروف ، تأريخ علماء المستنصرية ، صفحة ١ .

والمعاصرة لها ، وجود بناية خاصة للطب ملحقة فيها[١١] . وكان بأزاء باب المدرسة ساعة يستعان بها في معرفة أوقات الصلاة والدرس ، صنعها نورالدين علي بن تغلب الساعاتي وهو الذي كان يشرف عليها والعناية بها[١٢] .

وصف المدرسة :

مدرسة المستنصرية على شكل مستطيل طولها من الشمال الى الجنوب ١٠٤٫٨٠ متراً ، وعرضها من الجهة الشمالية ٤٤٫٢٠ متراً ، ومن الجهة الجنوبية ٤٨٫٦٠ متراً ، فتكون مساحتها ما يقرب من « ٤٨٣٦ » متراً مربعاً ،

---

(١١) ذكر صاحب كتاب الحوادث الجامعة ، صفحة ٨٢ ، بأنه في سنة ٦٣٣ للهجرة تكامل بناء الايوان الذي انشىء مقابل المدرسة المستنصرية وعمل تحته صفة يجلس فيها الطبيب وعنده جماعته الذين يشتغلون عليه بعلم الطب ويقصده المرضى فيداويهم . وقال عن الطبيب الذي يعمل في المدرسة صفحة ٥٩ « ان المستنصر وضع نظام المدرسة المستنصرية أن يكون فيها طبيب حاذق يشغل عشرة أنفس بعلم الطب » .

(١٢) السلامي ، المنتخب المختار ، صفحة ٣٦ .

وقد وصف صاحب الحوادث الجامعة صفحات ٨٢-٨٣ تركيب الساعة فقال : « وفيها (أي سنة ٦٣٣ هجرية) تكامل بناء الايوان الذي أنشأ مقابل المدرسة المستنصرية وعمل تحته صفة يجلس فيها الطبيب وعنده جماعته الذين يشتغلون عليه بعلم الطب ويقصده المرضى فيداويهم وبنى في حائط هذه الصفة دائرة وصور فيها صورة الفلك وجعل فيها طاقات لطاف لها أبواب لطيفة ، وفي الدائرة بازان من ذهب في طاستين من ذهب ووراءهما بندقتان من شبه لا يدركهما الناظر فعند مضي كل ساعة ينفتح فما البازين ويقع منهما البندقتان وكلما سقطت بندقة انفتح باب من أبواب تلك الطاقات والباب من ذهب فيصير حينئذ مفضضاً واذا وقعت البندقتان في الطاستين تذهبان الى مواضعهما ثم تطلع أقمار من ذهب في سماء الازوردية في ذلك الفلك مع طلوع الشمس الحقيقية وتدور مع دوراتها وتغيب مع غيبوبتها فاذا جاء الليل فهناك أقمار طالعة من ضوء خلفها كلما تكاملت ساعة تكامل ذلك الضوء في دائرة القمر ثم يبتدىء في الدائرة الاخرى الى انقضاء الليل وطلوع الشمس فيعلم بذلك أوقات الصلاة .

هذا بأستثناء « الرصيف » الحالي المطل على نهر دجلة البالغة مساحته « ٢٠ر١٢٢٧ » متراً مربعاً[١٣] .

ويتوسط المدرسة صحن كبير مستطيل الشكل طوله « ٤٠ر٦٢ » متراً ، وعرضه « ٤٠ر٢٧ » متراً ، وتبلغ مساحته ١٧١٠ متراً مربعاً[١٤] . وتحف بهذا الصحن من جوانبه الأربعة غرف المدرسة وقاعاتها المؤلفة من غرف نوم للطلبة ، وقاعات الدرس والايوانات والأروقة وخزانة الكتب والمخازن .

وقد درج المسلمون على جعل الصحن وسط معظم المساجد والمدارس التي شيدوها في مختلف الاماكن والعصور ، ومن المرجح أن صحن المدرسة المستنصرية كان في عهده الأول مبلطاً[١٥] .

وتتألف المدرسة من طابقين في كل طابق مجموعة كبيرة من الغرف ، ومعظمها صغيرة الحجم وعددها ٧٨ غرفة يقع ٣٩ منها في الطابق الاول ومثلها في الطابق الثاني ، وهناك اثنتا عشرة غرفة كبيرة[١٦] . ومن الجدير ذكره هنا أن الرواقين الكبيرين لهذه المدرسة يرتفعان بقدر إرتفاع الطابقين ، ويبلغ ارتفاع الطابقين فيها .

ومن المرجح أن الغرف الكبيرة كانت مخصصة للتدريس واجتماع الاساتذة بالطلاب ، وأن الغرف الصغيرة كانت مخصصة لنوم الطلاب[١٧] .

وتزين صحن المدرسة بركة كان الماء يجري اليها تحت الارض كما أشار

---

(١٣) المدرسة المستنصرية ، وصف آثارها الباقية وتأريخها ، نشرة أصدرتها مديرية الآثار العامة ، عام ١٩٦٠ .
(١٤) المصدر السابق .
(١٥) يقول صاحب كتاب الحوادث الجامعة ، صفحة ٣٦٥ في حوادث سنة ٦٦٨ هجرية بأن علاءالدين صاحب الديوان جدد تطبيق صحنها وتبنيد حياطينها ، انظر حسين أمين ، المدرسة المستنصرية ، صفحة ٣٧ .
(١٦) حسين أمين ، المدرسة المستنصرية ، صفحة ٣٧ .
(١٧) المصدر السابق .

صاحب الحوادث الجامعة ، بأنـــه في هـــذا الصحن جرى إحتفـــال إفتتـاح المدرسـة[١٨] .

وفي وسعنا أن نقسم غرف المدرسة وآواوينها في الطابق الاول الى أربعة أرباع ، كل ربع منها مكرس لمذهب من المذاهب الاربعـة ، الحنفي والشافعي والحنبلي والمالكي ، فالربع الذي على يمين الداخل من الباب الرئيس للمذهب الحنبلي ، ويقابله ربع الشافعية ، والذي على يسار الداخل للمالكيه ويقابله ربع الحنفية[١٩] .

ويقع في شمال الصحن وجنوبه ايوانان كبيران ، وهما المعروفان بالأيوان الشمالي ، والايوان الجنوبي ، ويبلغ ارتفاع كل إيوان بأرتفاع الرواقين الكبيرين اللذين أشرنا اليهما ، ويبلغ ارتفاع الرواقين عشرة أمتار ، وهو ارتفاع بنـاء المدرسة . وقد بولغ في اتقان هذين الايوانين وتجـــديد زخرفتهما بالزخارف الهندسية والنباتية الدقيقة[٢٠] ، ويبلـــغ عرض كل إيوان منهما ستة أمتـار وعمقهما ٧٫٨٠ متراً[٢١] .

وكان للمدرسة المستنصرية مخزن ، تخزن فيه حاجيات المدرسة وأدواتها وما يحتاجه الاســاتذة والطلاب من ملابس وصابون وآدوات وفرش ، كما أن فيه كل ما يحتاج اليه من أنواع ما يطبخ من الاطعمة[٢٢] .

---

(١٨) الحوادث الجامعة ، صفحة ٥٦ .

(١٩) روى صاحب كتاب الحوادث الجامعة ، صفحة ٧٨ عن الايوان الشمالي بأنه « عملت للملك النـاصر ناصرالـدين داود الايوبي صاحب الكرك دعوة في المستننصرية فحضر وجلس على طرف ايوانها الشمالي ، ووقف مماليكه وأصحابه في ربعي المالكية والحنفية .

(٢٠) مديرية الآثار العامة ، نفس المصدر .

(٢١) حسين أمين ، نفس المصدر ، صفحة ٣٣ .

(٢٢) ابن العبري ، تأريخ مختصر الدول ، صفحة ٤٢٥ .

وكان للمدرسة بستان يطل على نهر دجلـــة ، وكان الخليفة المستنصـر يحضر اليه ليستمتع بمنظر النهر وليراقب عن كثب احوال المدرسة[٢٣] .

وقد الحق بمدرسة المستنصرية بعض المبـــاني التي تعرف بأسم « الدار المجاورة » وكانت تقع في شـمال المدرســـة ، وقد بقى منهـــا « ايوان » فائق الزخرفة ، ودار الحديث لتدريس الحديث النبوي الشـــريف ، ودار القرآن لتدريس القرآن الكريم وعلومه[٢٤] .

وقد ذكر الأربلي أن دار القرآن تقع الى جانب المدرسة المستنصرية[٢٥]، وذكر صاحب كتاب الحوادث الجامعة انها كانت متصلة بالمدرسة[٢٦] .

كتابات المدرســة :

ومن اجمل ما تمتاز به المدرسة المستنصرية هو احتواؤها على أشرطة من الكتابات العربية التذكارية تتضمن معلومات تأريخية قيمة عن انشاء المدرســـة وبانيها والغرض من تأسيسها ، وهذه الكتابات التأريخية ترشدنا الى طبيعة الخط العربي في القرن السابع الهجري ، كما انها تمدنا بمعلومات لا يمكن الطعن فيها او إغفالها .

ولعل أهم هذه الكتابات ، تلك الكتابـــة التي كانت موجـودة فوق باب المدرسة الرئيس ، حيث قامت مديرية الآثار العامة بنقلها من موضعها قبل فترة من السنين وحفظتها في القصر العباسي .

---

(٢٣) أشار ابن العبري في كتابة تأريخ مختصر الدول ، صفحة ٤٤٢ ، بـأن المستنصر من شدة غرامه بمدرسته المعروفة بالمستنصرية أعمر لصقها بستاناً خاصاً به ، فقلما يمضي يوم الا ويركب الشبارة (نوع من أنواع الزوارق النهرية) ويأتي البستان يتنزه فيه ويقرب من شباك مفتح في ايوان المدرسة ينظر الى المدرسة ، ويشاهد أحوالها وأحوال الفقهاء .

(٢٤) مديرية الآثار العامة ، نفس المصدر .

(٢٥) الأربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، صفحة ٢١٢ .

(٢٦) الحوادث الجامعة ، صفحة ٥٩ .

وتتضمن هذه الكتابة :

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم قد أنشأ هذا المحل رغبة في أن الله لا يضيع

٢ ـ أجر من أحسن عملا وطلباً للفوز بجنات الفردوس

٣ ـ التي أعدها للذين آمنوا وعملوا الصالحات نزلا

٤ ـ وأمر أن تجعل مدرسة للفقهاء على المذاهب الأربعة

٥ ـ سيدنا ومولانا امام المسلمين وخليفة رب العالمين

٦ ـ ابو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين

٧ ـ شيد الله تعالى معالم الدين بخلود سلطانه وأحيا

٨ ـ قلوب اهل العلم بتضاعف نعمه واحسانه وذلك في

٩ ـ سنة ثلاثين وستماية وصلى الله على سيدنا محمد النبي وأهله

وهناك كتابة أثرية تذكارية أخرى ظاهرة على شريط في واجهة المدرسة المطلة على نهر دجلة ، وقد تم كتابة هـذا الشـريط الكتابي في عهد السلطان العثماني عبدالعزيز خان عام ١٢٨٢ هجرية حيث جدد هذه المدرسة ويظهر في الكتابة اسم الخطاط الذي كتبها واسمه « أبو بكر الصدقي » .

« ما شاء الله بسم الله الرحمن الرحيم ولتكن منـكم أمة يدعون للخـير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر اولئك هم المفلحون هذا ما أمر بعملـه أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين الذي طبق البلاد إحسانه وعدله وعمر البلاد ببره وفضله ابو جعفر المنصور المستنصر بالله قرن الله تعالى أوامره الشـريفة بالنجح واليسر وجنوده بالتأييد والنصـر جعـل لآيامه المخلدة حداً لا يكبو ولآراءه المجددة سعداً لا يخبو زناده في عز تخضع له الأقدار فيطعه عواصيهـا وملك تخشى له الملوك فيملك نواصيها . وذلك في سنة ثلاثين وستمائة وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وعترته وسلم تسليماً » .

وقد شاهد هذا النص بعض الرحالة والمؤرخين والباحثين الذين زاروا هذه المدرسة ومنهم الشيخ الألوسي .

وأما النص الموجود حالياً على جدار المدرسة المستنصرية فهو :

« ما شاء الله كان ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر اولئك هم المفلحون . وقد كان إنشاء هذا البناء في آيام خلافة عبدالله ابي جعفر المنصور المستنصر بالله العباسي في سنة ثلاثين وستمائة . وقد تجدد تعمره في زمن خلافة ظل الله الأعظم المقرون رأفته على مفارق الأمم مجدد قوانين أجداده العظام سلاطين ال عثمان مجدد جهات العدل والاحسان السلطان الغازي محمود خان لازالت البلاد بعدالته مغمورة ولا برحت العباد بفيض إحسانه مغمورة آمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الآمين وعلى آله وصحبه أجمعين . وكان ذلك في سنة إثنتين وثمانين ومائتين وألف كتبه المذنب بكر الصدقي عفى عنه » .

يلاحظ القارىء لهذه الكتابة أن جملة « ما شاء الله كان بسم الله الرحمن الرحيم » تغاير نوع الكتابة التي تليها في طريقة الكتابة وفي الزخرفة والاسلوب ، إذ أنها تشابه الكتابات الأثرية التي ترجع الى عصر الخليفة المستنصر والتي نراها على الباب الرئيسي للمدرسة المستنصرية . ثم نلاحظ ، أن هذه الجملة في مستوى يختلف عن مستوى الكتابة التي تليها ، وبذلك نستطيع أن نؤكد بأن الخليفة المستنصر قد ترك شريطاً كتابياً على الجدار المطل على نهر دجلة ، ولم يتخلف من هذه الكتابة سوى هذه الجملة ، وعندما جاء السلطان عبدالعزيز خان أزال جزء كبيراً من الكتابة الأثرية هذه وترك بدلا عنها شريطاً جديداً أوضح فيه خبر تجديده وتعميره لهذه المدرسة في نفس المكان الذي كتب عليه المستنصر . ونستبعد أن يكون الخليفة المستنصر قد ترك هذه الواجهة دون أن يحليها بشريط كتابي ، اذ أنه حلى جميع واجهات المدرسة بأشرط من الزخارف الكتابية .

وتزين المدرسة المستنصرية كتابة تأريخية أخرى تقع في الطبقة العليا من البناية وكانت هذه الكتابة تمتد بأمتداد واجهة المدرسة التي كانت تطل على السوق ، وكان من الممكن قراءة هذه الجمل المتقطعة ... الله من عباده ... بأنشائه ... طلباً للثواب الذي يعمل لمثله العاملون وتحريضاً على فض ... تعالى هل يستوي ... الذين ... المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين أدام الله إعتصام الاسلام بحبله المتين . وقد نقلت هذه الكتابة من موضعها وحفظت قبل مدة في القصر العباسي .

وتزين المدرسة أيضاً ، كتابة تأريخية ، كانت تشاهد داخل المقهى المجاورة للمدرسة ، وقد ظهرت الآن بشكل واضح ، بعد أن أزيلت المقهى ، وتقرأ على الشكل التالي .... ظهر في .... الزاهر لاجئاً الى حرم أمين وركن شديد في سنة ٣٠ وستماية وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله .

مواد البناء :

استعمل الطابوق في تشييد المدرسة المستنصرية واستخدام الطابوق في البناء ببغداد معروف ، اذ أن معظم العمائر التي نفذت في مختلف العصور بنيت بالطابون إذ لا يتوفر الحجر فيها ، والمعروف أن العراقيين القدماء قد استخدموا الطابوق في بناء العديد من المباني ، وقد استعمل العرب المسلمون هذه المادة في البناء بالعراق ، في بغداد وسامراء .

التسقيف :

استعمل نظام العقادات والاقبية في تسقيف المدرسة المستنصرية ، حيث سقفت الغرف والممرات والاواوين بهذا الاسلوب من التسقيف ، ومن المعروف أن الدهاليز والغرف والاواوين في قصر الاخيضر قد سقفت على نفس هذا الاسلوب .

زخارف المدرسة :

ولعل من مميزات المدرسة المستنصرية وجود زخارف آجرية رائعة ،

هندسية ونباتية ، وبأشكال وحجوم مختلفة ، تؤلف وحدات في الحجم والعمق ، وهذه الوحدات تتألف من قطع تجمع على هيئة أشكال هندسية مختلفة تزين جدران أبواب الغرف وفي بواطن الاواوين الكبيرة .

واسلوب تجمع قطع الآجر المزخرفة تؤلف أشكالا هندسية تشبه طريقة عمل الاطباق النجمية ، وهذه الزخارف التي نراها في المستنصرية تختلف عن الزخارف التي ظهرت في سامراء قبل أكثر من أربعة قرون والمعروفة بالزخارف الجصية .

أما طريقة عمل هذه الزخارف ، فيبدو أن الفنان كان يجمع قطع الآجر بالاشكال التي تتطلبها الزخرفة ثم يقوم بزخرفتها على مستويات مختلفة بالزخارف النباتية المحورة عن الطبيعة ، ثم يقوم بعد ذلك بتجميع قطع الآجر الواحدة جنب الاخرى وفق الشكل أو التصميم المراد اظهاره .

ولقد كانت هذه الزخارف تزين جدران المدرسة المطلة على الصحن ، وجدران أبواب الغرف ، وبواطن الاواوين الكبيرة كما أسلفنا ، وكانت تضفي على هذه الجدران مسحة من جمال فني رائع ، أكسب المدرسة مهابة وبهاء . وقد تلف الكثير من هذه الزخارف ، عبر القرون الماضية العديدة ، بفعل العوامل الطبيعية ، من أمطار ، ورطوبة ، وحرارة ، وبفعل الاهمال الذي أصاب المدرسة بأجمعها ، وقد قامت مديرية الآثار العامة بجهود كبيرة ومضنية لتجديد أبنية المدرسة وصيانتها وترميمها ، واعادة الزخارف الى مثل ما كانت عليه ، عن طريق تجميع قطع من الآجر على غرار القطع الاصلية لكي تظهر هذه الزخارف مثلما كانت عليه عند بناء المدرسة . كما قامت بتجديد بعض الكتابات الاثرية .